كُنّاشة: (11)

علم التجويد.. سيرة المنشأ

إبراهيم عليّ السّفسيف

إزاء الإثارات المشنّعة على شيعة أهل البيت(عليهم السلام)، في عدم إتقانهم لعلم التجويد أو حتّى اعتنائهم به، من قبل فئة معيّنة من المخالفين في عصرنا هذا.

بإزاء ذلك، يُعبّر السيّد ضياء الخبّاز في كتابه "علم التجويد والرؤية المغيّبة"[1]، عن موقف علمائيّ من الطائفة الإماميّة من هذا العلم بـ"الرؤية المغيّبة"، والتي تتلخّص في أربع زوايا، هي:

(1) زاوية المنشأ:

إذا رجعنا للروايات والأخبار الواردة عن أهل البيت(عليهم السلام) لا نجد خبرًا أو رواية تتحدّث عن قاعدة تجويديّة واحدة كما يطرحها علماء التجويد. ولو كان هذا العلم مرضيًّا عندهم لكانوا هم(عليهم السلام) مَن فصّل عن فضائله وقواعده وبيّن وتحدّث.

ولأنّ هذا العلم لم ينشأ في أحضانهم(عليهم السلام) بل في أحضان العامّة والمخالفين، فهو علم لاقيمة له من حيث منشئه.

[1] السيّد ضياء الخبّاز، علم التجويد والرؤية المغيّبة، تحرير وتوثيق: زينب مهديّ، ط1/1431هـ.

بل إنّه علم وُضع لصرف الناس عن علومه(عليهم السلام). وفوق هذا اختلقوا روايات مكذوبة عليهم من أجل ترويج صناعته وترسيخها، فرووا عن أمير المؤمنين(عليهم السلام) في معنى الترتيل: "أنّه حفظ الوقوف وأداء الحروف"[1] وهو ما لم يقف عليه أحد في كتب الأخبار عندنا.

(2) زاوية القواعد التجويديّة:

فبعض قواعد علم التجويد تمسخ جمال القرآن، وتُغيّر هيئات الجمل والكلمات القرآنيّة، فإنّه لايمكن القبول بها على إطلاقها، بل هنالك من القواعد ما يحرم تطبيقه شرعًا.

ويمكن التمثيل لهذا بقاعدة الإدغام الكبير، وهي: إذا جاء حرف الكاف والكاف أو القاف والكاف كـ﴿سَلَكَكُمْ﴾(المدّثّر: 42) و﴿خَلْقُكُمْ﴾ (لقمان:28)، فإنّ أحد الحرفين يُدغم في الآخر ويتحوّلان لحرف واحد مشدّد. وهذا لايجوز باتّفاقٍ لاخلاف فيه.

(3) زاوية التطبيق:

بعض تطبيقات علماء التجويد جاءت وفق موروثاتهم الفكريّة والمعرفيّة وبنحوٍ مخالف للمعارف الحقّه.

---

[1] جاء في موقع (الإسلام سؤال وجواب): "لم نقف له على إسناد بعد طول بحث، وإنّما أورده بعض أهل العلم، هكذا من غير إسناد، ولا عزو إلى من أخرجه. وأقدم من رأيناه ذكره ، هو أبوالقاسم الهذليّ(ت 465هـ) في كتاب "الوقف والابتداء"(ص377) فقال: "قال عليّ: الترتيل معرفة الوقوف ، وتحقيق الحروف ". ولم يذكر له إسنادًا". https://islamqa.info/ar/answers/265364/

ومثال ذلك الوقف اللازم في قوله تعالى: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ ۗ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ﴾(آل عمران:7). فاعتبروا أنّ الجملة الثانية في الآية جملة جديدة والواو للاستئناف، بخلاف معتقد الإماميّة من كون الراسخين –النبيّ وأهل بيته(صلوات الله عليهم)- هم الذين يعلمون تأويل الكتاب.

إضافة إلى ذلك، فإنّ تطبيقات بعض القواعد تؤدّي إلى الإخلال بكلمات القرآن الكريم وتُشوّه مفرداته، مثل إدغام المتقاربن في المخرج والصفة كإدغام الحاء في العين في قول تعالى: ﴿إِنَّما المَسِيحُ عِيسى ابْنُ مَرْيَمَ﴾(النساء:171) لتكون عند القراءة (إنّما المسيع).

(4) زاوية النتائج:

يترتّب على الانشغال والاشتغال بالقواعد التجويديّة وتطبيقاتها، سلب روح الخشوع من المصلّي وقارئ القرآن؛ لأنّ مَن ينشغل ويشتغل ذهنه بها يَبقى فكره في دائرة الألفاظ فقط من أجل تشخيص موارد المدّ والإدغام والإظهار والإقلاب والإشباع والإمالة ونحو ذلك، بما يصرفه عن معاني الآيات.

لكن، كيف نوفّق بين هذه الرؤية المغيّبة السالفة وما يبحثه الفقهاء من أحكام المدّ والإداغم ونحوها في قراءة المصلّي؟

والجواب: يشترط الفقهاء شرطين في القراءة، الأوّل: أنْ تكون القراءة على طبق النهج العربيّ. والثاني: أنْ تكون القراءة على طبق القراءة المتعارفة عند المسلمين[1].

[1] حدّدها جلّ فقهاء الإماميّة في القراءات السبع دون غيرها.

ما سبق، هو خلاصة موقفٍ علمائيّ إماميّ من علم التجويد. يؤخذ عليه ما ذُكر في زاوية منشأ علم التجويد وزاوية النتائج، إنْ من حيث عدم الدقّة في السيرورة التاريخيّة لعلم التجويد، وإنْ من حيث ضعف المستند العلميّ في القبول أو الرفض.

ولقد نجد فيما خلص إليه الباحث (حسين بن سعد المطيريّ) في بحثه الموسوم: "تجويد اللفظ في القرآن الكريم في القرون الخمسة الأولى"، قد نجد فيه ما يسعفنا على تصحيح النظرة التاريخيّة لعلم التجويد من جانب.

ومن جانب آخر ، نجد فيه ما يعضد الموقف الفقهيّ الذي انتهى إليه علماء الإماميّة بشأن القراءة في الصلاة، وهي نتيجة تصلح أنْ تُعمّم لتشمل الرأي الفقهيّ من علم التجويد في الحدّ الأدنى، وبما يجعل الرؤية المغيّبة رؤيةً واضحة لا لبس فيها.

حيث خلص إلى الآتي[1]:

1. أصل تجويد اللفظ في القرآن الكريم آيات الترتيل، وآيات نزوله بلسان العرب، وآيات نزوله بالمنطق الفصيح من لسان العرب.
2. أصل تجويد اللفظ في السنّة النبويّة إلتزامه(صلّى الله عليه وآله) بالتلاوة الفصيحة البطيئة الممدودة الألفاظ، وأمره(صلّى الله عليه وآله) بأخذ التلفّظ بالقرآن من متقني التلفّظ بالقرآن من الصحابة وثناؤه على اللفظ المرتّل وصاحبه.

[1] حسين بن سعد المطيريّ: تجويد اللفظ في القرآن الكريم في القرون الخمسة الأولى، رسالة ماجستير: جامعة الإمام محمّد بن سعود، 1433هـ: 451-452.

3. انتشر اللحن ورداءة القراءة في القرن الثاني الهجريّ بين المسلمين، وضعفت الفصاحة العربيّة فيهم. فجهد أئمّة القراءة -في هذا القرن- في العناية بجودة التلفّظ في قراءة القرآن الكريم ومدافعة ما انتشر من اللحن ورداءة النطق.
4. شارك علماءُ العربيّة علماءَ القراءة -في القرن الثاني- في مدافعة اللحن ورداءة النطق من خلال كتاباتهم في التعقيد للتلفّظ العربيّ الصحيح.
5. وُجد في القرن الثاني بين علماء القراءة والعربيّة عدّة مسمّيات وأوصاف لتجويد اللفظ.
6. قام نقلة القراءات أداءً في القرن الثالث بجهود متعدّدة ومهمّة في العناية بتجويد اللفظ، منها نقْل أداء وتلفّظ أئمّة القرن الثاني، ومنها بداية الكتابة في تجويد اللفظ.
7. استخدم إمام وقته في القراءات ابن مجاهد(324هـ) عبارة "تجويد اللفظ" في آخر القرن الثالث أو في مطلع القرن الرابع، ثمّ استخدمها من بعده تلاميذه، ثمّ شاع استخدامها وأطبق عليها علماء القراءات في القرن الخامس.
8. القرن الخامس هو قرن التأليف في تجويد اللفظ، حيث انتشر التأليف في التجويد وتنوّع بشكل كبير، ونضج علم تجويد اللفظ على يد علمائه في هذا القرن، فلم نجد في مؤلّفات ما بعد القرن الخامس زيادة تُذكر.

الإثنين: 16 شهر رمضان 1446هـ/ 17 مارس 2025م.